الـخلاصـــــة :

الخلاصة:

استعرضنا في فصول هذه الرسالة الموسومة بـ " الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية (132-749/656-1258م) " مجتمع الجواري والقهرمانات في قصور الخلفاء العباسيين والدور الذي كن يؤدينه في المجتمع البغدادي العباسي بما يتصل في حقول السياسة والإدارة والمال عن طريق سير ونشاطات هذه الجواري والقهرمانات ضمن المجتمع الذي ينتسبن اليه والذي كان يشكل ظاهرة مميزة من مظاهر العصر . ومن خلال تحليلنا للجواري والقهرمانات خليفة بعد خليفة ، وعهداً بعد عهد ومن خلال سيرة ونشاط اكثر من مئة منهن تبين لنا ما يأتي:

.1طبيعة مجتمع الجواري والقهرمانات في العصر العباسي:

I. كان نظام الجواري نتيجة طبيعية للفتوحات الواسعة ، التي امتدت خلال اقل من مئة عام من الصين شرقاً ، الى بلاد الفرنجة غرباً . ولم يكن هذا النظام لدى العرب حصراً ، وإنما كان معروفاً وشائعاً لدى امم العالم القديم والوسيط جميعا بنسب متفاوتة ، وانما تفاضلت الأمم في حسن المعاملة للرقيق ، وفي تعدد طرائق تحريره ووفرة الأسباب التي تؤدي الى العتق.

II. تبين من تحليلنا ان مفهوم الجارية تطور في العصر العباسي عما كان عليه في العصر الأموي ، إذ كانت أعمال الجارية الخدمة في البيوت ليس الا ، فيما احتلت الجارية في العصر العباسي مكانة متميزة ومرموقة في الحياة الاجتماعية ، ولاسيما لدى الخلفاء والأمراء والوزراء والقادة الذين اتخذوا من الجواري المتميزات زوجات لهم وأمهاتاً لأولادهم.

وبعبارة أخرى اهتم المجتمع العربي في العصر العباسي عاش ظاهرة الجواري ، فلم تكن الجارية حقيقة مجرد أداة عبث ولهو واستمتاع ليس غير ، وإنما بالوسائل التي عمد الخاصة بها الى رفع مستواهن اما بالتعليم والتثقيف او تلقين آداب السلوك ،وغير ذلك ان جعل مثل هذه الجارية في كثير من الأحيان ارقى وأكثر طلبا من المرأة الحرة في المجتمع.

ج. يرتفع ثمن الجارية بازدياد مزاياها وتعددها ،ولم يكن جمالها وحده مقياس ثمنها ، لذلك حرص النخاسون على تثقيف الجواري وتعليمهن مختلف العلوم ، وربما تعلمن أحياناً المجاولة بالترأس ، واللعب بالرماح.

كما احدث نظام الجواري ايضاً في المجتمع العربي تطوراً جديداً في كثير من الأعراف والتقاليد ، لابل احدث تغييراً في بعض الأحكام.

فضلا عن ان الجواري ملأن حياة المجتمع العربي بشكل يدعو الى كثير من التأمل ، فلم يقتصر أثرهن في الحياة الاجتماعية وحدها ، او في ان نفوذهن كان محصوراً فيما خلقن له ،وانما تعدى ذلك الى شؤون الدولة في بعض الأحيان فاصبح لهن الامر والنهي ،وان شئت قلت : لاترد لبعضهن شفاعة او التماس لدى الخلفاء.

د.لم يكن نظام الجواري بلا فائدة كذلك للحياة الثقافية في البلاد ، فقد افاد منه الأدب خيراً كثيراً ،كما كان اداة تمازج في الدماء والأعراق ،ونشأت عنه العناصر الخلاسية التي أخذت من كل عرق احسن مزاياه.

فليس غريباً اذا زهد الناس في الحرائر ، فما سمعنا ان حرة اجتمعت لها مثل هذه الصفات ، ولا يمكن ان تجتمع لها ، لطبيعة حياتها الخاصة في بيت أبيها مهما حرص لها بان تتفوق على أقرانها ،وان تبز أهل زمانها جودا ومكانة.

.2علاقة الجواري والقهرمانات بالخلفاء العباسيين:

أ-تبين من خلال الدراسة ان أسماء الجواري والقهرمانات في اغلبها ليس هي الأسماء الأصلية التي أتت بها . فكل خليفة من خلفاء بني العباس ،كان يطلق اسماً جديداً على الجارية او القهرمانة حسب الصفة التي يراها الخليفة بارزو في تكوينة الجارية مثل :الجارية الخيزران ، التي اسماها الخليفة المهدي بهذا الاسم لانها كانت دقيقة الساقين كالخيزران ، او الجارية شغب التي كان اسمها قبل تغييره ناعم فسماها الخليفة المعتضد " شغب " لأنها ولدت له ولداً مشاغباً وهكذا.

ب.ان أغلبية الجواري في دار الخلافة واللاتي اصبحن ام ولد بل واصبح أولادهن خلفاء ،لم يكن لهن دور سياسي واضح في تولي أولادهن الخلافة عدا الجارية خيزران والجارية شغب والجارية قبيحة ، وسبب هذا يعود الى انه كان من الطبيعي ان يحتل بعض الجواري مكانة ارفع لدى بعض الخلفاء حسب قوة وليونة الخلفاء ، وولاة عهودهم ،فيما عمد بعض الخلفاء الى التسري بهن والتمتع بفتنتهن . فإذا ما حظيت الجارية بقلب الخليفة ، استطاعت ان تقدم وتؤخر في شؤون الدولة ، وأمكنها تقرب وتقصي من تشاء ،وربما كان لها شأن في عهد الخليفة الى بعض أولاده دون بعض بعد وفاة الخليفة العصر ، او حتى خلال ايام حياته.

ج. تبين ان هناك تنافساً شديد بين جواري قصر الخلافة للتقرب من الخليفة ،وقد تصل المنافسة بينهن الى درجة ان تعمد الى كيد إحداهن بالأخرى ، ولاسيما ونحن وجدنا ان أعمار بعض الجواري المحظيات لدى الخلفاء كان لا يتعدى سنوات قليلة من وقت سجلها داخل سكن القصور ،وربما تموت الجارية وتختفي فجأة مثل الجارية هيلانة في عهد الخليفة الرشيد والجارية غادر في عهد الخليفة موسى الهادي.

ويلاحظ ان الجمع بين الحرائر والجواري في بيوت الخلفاء والخاصة والعامة على السواء سبباً لكثير من الخصومات ، لاتقف بين مايكون عادة بين النساء من خصومات وشجار ، وانما يتعداها احياناً بل غالباً ، الى ما يكون بين الرجال من ذلك، ولاسيما ان لاولاد الحرائر مزايا طبقية ، لم تكن لاولاد الجواري مشاركة فيها الا استثناء ، وعن طريق اسلوب الخديعة والحيلة والمكر منهن . كذلك كان البعض منهن يشكل غيظاً دائماً لزوجات الخلفاء ، لما تمتعن من سلطان لدى ولي الامر ولما حظين به من قربى لديه.

الـخـلاصـــــــة :

وربماكان تفضيل [redacted] لا يرون شيئا ممن يريدون الاقتران بهن من الحرائر الا نادرا . اما الجواري فكن ببساطة معروضات في دور النخاسة ومتوفرات للبيع امام مراى اعينهم . وليس ادل على تفضيلهن الا انهن كن يدفن بعد وفاتهن في المقابر الخاصة بخلفاء البيت العباسي.

وبناء على ما تقدم يمكن القول ان المجتمع العربي في العصر العباسي حطم تماماً النظام القبلي الذي قام على أساسه نظام المجتمع العربي ، إذ نجد معظم الخلفاء العباسيين كانوا يختارون زوجاتهم وأمهات أولادهم من الجواري الفارسيات والتركيات والروميات او من غيرهن من الاجناس، ومن بين الخلفاء العباسيين لا نجد سوى ثلاثة من ابناء الحرائر العربيات وهم ابو العباس السفاح ومحمد المهدي والامين ليس الا.

د. تبين ان تشجيع حياة القصور العباسية الباذخة وما بها من إسراف وتبذير وترف ومؤامرات استهدفت الخليفة بجعله إلعوبة في أيدي الوزراء واهواء الجواري والقهرمانات في دار الخلافة الامر الذي مزق وحدة الدولة ، كانت احد العوامل التي تقف وراء شيوع ازمة مالية حادة ظلت الدولة تئن من شدتها حتى نهاية الخلافة العباسية في بغداد سنة **656** هـ / **1258**م.

.3طبيعة وظيفة الجواري والقهرمانات في العصر العباسي:

ادت الجواري والقهرمانات في العصر العباسي دوراً مهماً في حياة الخلفاء اثناء دخولهن في البلاط العباسي ،وفي الحياة الاجتماعية للمجتمع العباسي كما مر بنا .ولذلك كان لوجودهن داخل قصر الخلافة او في بيوت الخلفاء والأمراء الإداريين اثار كبيرة فمنهن من اصبحن زوجات الخلفاء وأمهات لأولاده ،والقسم الآخر أمهات للخلفاء وأخريات اصبحن سراري فيما استخدمت البقية كخدم في هذه الدور.

كانت اكثرية الجواري يمتلكن صنعة مثل الشعر والادب والقصة والمساجلة الشعرية والغناء والعزف والرقص والطرب ،كل على حسب كفاءتها في ضوء ذلك يمكن اجمال الطبيعة الوظيفية التي تؤديها كل من الجواري والقهرمانات بما يأتي:

أ– ان طبيعة الوظيفة التي تؤديها القهرمانة هي مسؤوليتها عن الامور المالية من الدخل والخرج في قصر الخلافة ، وهذه هي فيما يبدو وظيفتها الأساسية.

وقد يتعدى الامر الى اكثر من هذا ، فضلا عن مسؤوليتها عن الأمور المالية مهام أخرى تتمثل في نقل الرقاع والمراسلات بين الخليفة والوزراء مثل الجارية زيدان ايام خلافة المقتدر بالله ، او تولي القضاء والجلوس للنظر في المظالم مثل ثمل القهرمانة ايام خلافة المقتدر بالله كذلك ، وأخرى أخذت البيعة للخليفة المستكفي بالله مثل علم القهرمانة ، واخرى كانت تقلد خط الخليفة وتختم بختمه لضعف أصاب ما الخليفة في بصره او فقدانه مثل حدق القهرمانة ايام خلافة الناصر لدين الله ، ومنهن من يتدخلن او يكن مسؤولات عن تعيين وعزل وزراء الخلافاء مثل القهرمانة ام موسى الهاشمية في عزل الوزير علي بن عيسى ،وقد تصل الأمور الى ان تتدخل القهرمانة في زواج الخليفة او ابنته مثل ما قامت به صلف القهرمانة ايام خلافة القائم بالله ،او يتخذن من بيوتهن مأوى او سجناً على من غضب عليهم الخليفة من الوزراء المصادرين والأمراء والعسكر ، مثلما حدث لبيت زيدان القهرمانة.

ب–وفيما يخص الجواري فيمكن حصر وظائف قسم منهن في القاء الشعر والادب والقصة والمساجلة الشعرية امثال الجارية فضل الشاعرة والجارية عريب وغيرهن اما القسم الآخر فكان للخدمة في البيوتات العباسية.

ج–والملاحظة الجديرة بالاهتمام مادام الحديث هنا عن طبيعة الوظيفة التي تؤديها كل من الجارية والقهرمانة فقد تحتم عليهن كل من الجارية والقهرمانة ، ارتداء زي خاص في دار الخلافة وذلك لكي تتميز القهرمانة عن الجارية من قبل العامة ، اذا خرجت القهرمانة من دار الخلافة للتسوق .فضلاً عن ذلك فان الجارية التي تنجب للخليفة ولداً يطلق عليها ام ولد ، اما الحرة فتدعى بأم البنين.

.4طبيعة الجواري والقهرمانات وإقامتهن في العصر العباسي:

لقد كان اليهود تجاراً يمارسون تجارة الرقيق كان معظم الرقيق من أسرى وسبايا الحرب ، اذ يتم بيعهم في أسواق بغداد تحت مراقبة رسمية لاصولهم العرقية وأثمانهم لان الدولة كانت تقطع عن هؤلاء الأسرى عدداً معيناً لسد حاجة الجيش من الرقيق ، فضلاً عن استخدامهم في البيوتات وقصور الخلافة .وحول طبيعة هذه الظاهرة يمكن تسجيل ما يأتي:

.I ان قسماً من الجواري اللاتي وصلن الى قصر الخلافة استطعن ان يترقن ويصبحن قهرمانات بعد ان أبدين مهارة في التعليم والفنون المختلفة ، وفي هذا يتبين ان اصل القهرمانة هو جارية استطاعت الوصول الى هذا المستوى بفضل الثقافة والمهارة في الميادين المختلفة.

اما القسم الآخر فقد وصلن أساساً كقهرمانة وتولين مسؤلياتهن في دار الخلافة.

ب.فيما يخص طبيعة إقامتهن في دار الخلافة العباسية ، فقد خصصت لهن حجرات خاصة اما ان تكون داخل قصر الخلافة مثل فاطمة القهرمانة وثمل القهرمانة او بيوتاً ودوراً قريبة من دار الخلافة او ملاصقة لها ، مثل سكن زيدان القهرمانة وحدق القهرمانة . والقسم الآخر بنى الخلفاء لهن قصوراً منتشرة في نواحي بغداد مثل الجارية هيلانة لدى الخليفة هارون الرشيد.

ج. خصصت بعض القهرمانات لهن جواري لخدمتهن داخل مقرات إقامتهن مثل زيدان القهرمانة وام موسى القهرمانة كما خصصت بعض الجواري والقهرمانات لهن اطباء مثل الجارية الخيزران وزيدان القهرمانة.

الــخلاصـــــــة :

د.اشتهرت الجواري والقهرمانات [redacted] شغب ،والجارية قبيحة ، فضلاً عن ذلك فإنهن تميزت بعزوفهن عن الزواج وفضلن الوظيفة على الزواج ، الا ام موسى القهرمانة فقدكانت متزوجة قبل مجيئها لدار الخلافة والجواري اللاتي اصبحن أمهات الأولاد في دار الخلافة العباسية.

وهكذا نرى من خلال هذه الدراسة ان الرقيق الأتراك والصقالبة والروم كانوا يشكلون جزء هاماً من الجواري والقهرمانات في قصور دار الخلافة العباسية في العراق.